د. أحمد رفيق عوض *

الصراع الدائم: وظيفة الدولة أم يهوديتها؟!

[كل جيل هو أكثر يهودية من الجيل الذي يسبقه]

(*) تبدو إسرائيل خلال العقود الثلاثة الأخيرة أكثر تماثلا مع ماضيها، أي قبل قيامها في العام ١٩٤٨، وليس من الصدفة أن توصف بأنها "غيتو كبير واحد"، ذلك أن مميزات الغيتو الصغير وقري الشطعطل التي تناثرت في الأراضي الشرقية لبولندا والحدود الروسية في القرون الوسطى وحتى نهاية القرن التاسع عشر، عادت للظهور مرة أخرى على شكل تعددية في الهويات الثقافية والخلافات الفكرية والعقائدية. وعادت المنافسات الشديدة على كل شيء تقريبا، الموارد والسلطة والتوجه والمعنى والهدف والوسيلة، وهي منافسات حقيقية وجدية، ولم يشكل الصراع الديني العلماني في إسرائيل الحديثة شأنا جديدا في الصورة الشاملة للصراعات المتعددة، فالصراع الديني العلماني داخل المجتمعات اليهودية لم يبدأ مع قيام إسرائيل ولن ينتهي أيضا في مستقبل الأيام. [١]

ولا يتوقف هذا الصراع بين التيارات الدينية والعلمانية فقط، وإنما بين التيارات الدينية ذاتها، فالصراع بينها لا يقل ضراوة وشراسة عنها مع العلمانيين، هذا ما كان في الماضي وهو ما يشاهد الآن[٢] وهي صراعات تميزت بالعنف الشديد. فمن الخطأ اعتبار أن الغيتو اليهودي كان منعزلا وأنه انشغل فقط بدراسة التوراة، ففي تفحص للصورة عن قرب، نرى أن هذا الغيتو لم يحافظ على نفسه من خلال الإقناع أو الإيمان وإنما بالعنف أيضا. [٣] ارتباط الدين اليهودي بالعنف له ما يسوغه ويشرعه تماما، وذلك من خلال التوراة ذاتها وكذلك التلمود بشقيه وكذلك مقولات الفكر الكابالي الذي ذهب بعيدا في إضفاء فكرة الحلول الإلهية على الجماعات اليهودية

* روائي وأستاذ في جامعة أبو ديس. هذه المقالة هي فصل من أطروحة دكتوراه حول "أثر الأصولية اليهودية في السياسة الإسرائيلية".

فالأحزاب الدينية لا تؤمن بالديمقراطية، ولا تجري انتخابات داخلية فيها، ومجلس حكمائها من الحاخامات لا يكشف عن مناقشاته ولا اعتباراته، ولا ينتخب هذا المجلس، بل يتم تعيين أعضائه بطرق غامضة. ويقوم هذا المجلس بتعيين مرشحيه للكنيست حسب اعتبارات لا يعلمها أحد، كما أن أعضاء الكنيست من الحزب الديني لا يستطيعون اتخاذ أي قرار دون العودة الي مجلس الحكماء. والحزب حكر على الذكور، ولكن هذا الأمر لا ينطبق على الحزب الديني القومي أو المفدال، فهم أكثر انكشافا، كما أنهم يشركون النساء في العمل السياسي. لهذا، فإن هناك معارك حامية الوطيس بين الحريديم وهذا الحزب.

و "أرض إسرائيل" بحيث وصل بعض المؤمنين بهذا الفكر إلى اعتبار أن كل شخص يهودي هو جزء من الذات الإلهية.[٤] وهو فكر استعداد وما زال شعبيته وقوته، من خلال الحركات والأحزاب المسيحانية، ولا يقتصر الأمر على المجتمع المتدين وإنما هو في قطاعات كبيرة ممن يطلق عليهم اسم "العلمانيين" - يمينيين كانوا أم يساريين-[٥] فمن يُفترض أنهم علمانيون، مثل حزب العمل وحزب ميرتس، كانوا أكثر دعما للحركات والأحزاب المتدينة في نشاطاتها الاستيطانية والتعليمية والاجتماعية.[٦] ورغم ذلك، فإن المتدينين، كانوا وما زالوا أقرب إلى اليمين العلماني دائما، وهي علاقة متبادلة ومستمرة ولا يبدو أنها قابلة للانفصام، رغم الخلافات التي ثارت وتثور كل مرة يدخل فيها هذا اليمين في تسوية سياسية أو إقليمية ما.

ورغم أن الطرفين يمتلكان رؤيتين سياسيتين مختلفتين فيما يتعلق بمفهوم الديمقراطية ومفهوم الصهيونية،[٧] إلا أن أسباب العلاقة بين المتدينين - مع أنواعهم - وبين اليمين - على أنواعه - مستمرة ومرشحة للاستمرار للأسباب التالية[٨]:

١. يتبنى الطرفان رواية متشابهة للعالم، من حيث الإيمان بوجود هوة عميقة تفصل بين اليهود وغير اليهود، ومن حيث تحديد العلاقة مع غير اليهود. وقد انقسم زعماء الحركات الدينية حول أفضل السبل للتعامل مع غير اليهود في حالة القوة وحالة الضعف، فمن قائل أنه يجب أن يبقى اليهود هادئين حتى لا يستفزوا غير اليهود - حسب تعبير الحاخام شاخ -، ومن قائل إنه يجب أن يمتلك اليهود القوة للدفاع عن النفس - حسب تعبير الحاخام من لوبوفيتش -[٩]، ورغم أن الحاخامين عارضا السلام مع العرب - وخاصة مع مصر - لأن المصريين يريدون إبادة اليهود، الا أن السلام معهم سيقلل الضحايا من اليهود - حسب شاخ -، أو يجب أن يكون السلام جزءا من عملية عدم تقديم تنازلات - حسب الحاخام من لوبوفيتش. هذان الموقفان المتناقضان ظاهريا المتسقان في جوهرهما، عبر عنهما الحاخام عوفاديا يوسيف في العام ١٩٩٦، عندما وافق على تقديم "تنازلات" إسرائيلية في أي اتفاق سلام مع العرب الفلسطنيين، وكانت حجة هذا الحاخام في ذلك، أن إسرائيل ضعيفة جدا، فهي لا تستطيع أن تهدم كل الكنائس في فلسطين، وهي ضعيفة جدا للاحتفاظ بكل المناطق المحتلة، ولهذا ليس من الخطأ أن "تتنازل" إسرائيل عن أراض معينة كي تتجنب حربا تسقط فيها أرواح يهودية.[١٠] لا يختلف اليمين العلماني عن التيار المتدين في رؤية هذه الهوة والعمل تحت رعبها ومخاطرها الحقيقية والمتخيلة. إن هذا الفهم والرؤية المشتركة تفسر إلى حد كبير المواقف السياسية الداخلية والخارجية التي يتخذها اليمين العلماني عندما يكون في السلطة، وكذلك في عدم تخلصه من الرموز الدينية والموروث الديني، وإن أدخل عليها كثيرا أو قليلا من عمليات العلمنة، فإن جوهرها الديني واضح تماما. إن تردد وحذر اليمين العلماني بعض الأحيان، وتطرفه في أحيان أخرى، إنما هو تعبير بشكل أو بآخر عن تلك المخاوف المتراكمة والعميقة من الآخرين. وبهذا يمكن أيضا تفسير قبول مناحيم بيغن توقيع اتفاقية سلام مع مصر في أواخر السبعينيات. وبنفس القدر يمكن فهم الإجراءات العملية

يقول إيمانويل هيمان مستخلصا ومستشرفا مستقبل القوى الدينية في إسرئيل ما نصه "للأسف، يكفي أن تعطي أرضا لهؤلاء المؤمنين وأن يمسكوا السلاح بأيديهم، حتى يتحول البعض منهم إلى أصوليين قوميين ويحاولون فرض أنفسهم بالقوة. وحيث أن موجههم هو الله، فإنهم قادرون على ارتكاب كل التجاوزات، لأن خلافاتنا الإنسانية التافهة لا تساوي شيئا أمام التدبير الإلهي العظيم، والذين يملكون وحدهم مفاتيح أسراره".

التي استطاع بنيامين نتنياهو من خلالها أن يجمد اتفاق أوسلو في أواسط التسعينيات. فالمراوحة بين مفهومي الحاخامين المذكورين آنفا هو ما يحكم الفكر اليميني العلماني وسياساته إلي حد بعيد.

٢. النقطة السابقة تقود إلي تشابه الخطاب الديني والخطاب اليميني العلماني من حيث انطلاق الخطابين من شعورين متضادين تماما، هما الخوف من العالم من جهة، والثقة المفرطة بالذات من جهة أخرى. إن ما يعزز تعايش وصراع هذين الشعورين في الخطابين الإعتقاد "بالفرادة اليهودية". [١١] إن هذا الخليط من فصام المخاوف المتطرفة والثقة بالذات يؤديان إلى خطاب يعتمد جنون القوة "للتغطية على الخوف الوجودي اللاشعوري من العالم كله". [١٢] ومن مميزات هذين الخطابين؛ الخوف من الغرب ورأيه العام، والخوف من اليسار الإسرائيلي لأنه أقل يهودية، والخوف من الإندماج، والخوف من الحياة بشكل طبيعي بين الأمم، والخوف من أية اتفاقية سلام قد تهدد النسيج الإجتماعي الداخلي، والخوف من أية أفكار أو آراء جديدة تهدد الرؤية الرسمية أو التاريخ.. الخ.. الخ. هذان الخطابان أسسا ويؤسسان إلى ما يسمى بفوبيا الأمن الإسرائيلية، وهي فوبيا عامة وشاملة.

٣. الخطاب الديني يبرر لليمين العلماني سياساته غير الموجودة في الاعتبارات الإستراتيجية قصيرة المدى لإسرائيل. بل هي منتزعة من ذلك "التاريخ الطويل للعلاقة الخاصة بين الله وشعبه المختار". [١٣] إن هذه التبريرات قد تبدو متناقضة، ولكنها مجدية كثيرا في السياسة وخاصة لليمين الذي لا يستطيع أن يقدم تبريرات دينية مقنعة. وبهذا المفهوم، فإن الخطاب الديني يعطي شرعية لليمين العلماني بشكل أو بآخر، وهذا يمتد أيضا إلى العلاقة بين المتدينين وإسرائيل الصهيونية العلمانية رسميا، فإسرائيل – بالنسبة لهذا الخطاب – إما أن تكون مرحلة من مراحل الخلاص أو مقدمة له – كما يدعي حزب المفدال – أو أنها دولة لليهود تحمي الدم والتوراة والشعب – كما يدعي حزب يهدوت هتوراة–.

خلافات يمكن التعايش معها

إذا كان هناك خلافات بين المتدينين واليمين العلماني حول الصهيونية والديمقراطية، فإن هذه الخلافات كانت وستظل موجودة ويمكن التعايش معها أيضا.

فالأحزاب الدينية لا تؤمن بالديمقراطية، ولا تجري انتخابات داخلية فيها، ومجلس حكمائها من الحاخامات لا يكشف عن مناقشاته ولا اعتباراته، ولا ينتخب هذا المجلس، بل يتم تعيين أعضائه بطرق غامضة. ويقوم هذا المجلس بتعيين مرشحيه للكنيست حسب اعتبارات لا يعلمها أحد، كما أن أعضاء الكنيست من الحزب الديني لا يستطيعون اتخاذ أي قرار دون العودة الي مجلس الحكماء. والحزب حكر على الذكور، ولكن هذا الأمر لا ينطبق على الحزب الديني القومي أو المفدال، فهم أكثر انكشافا، كما أنهم يشركون النساء في العمل السياسي. لهذا، فإن هناك معارك حامية الوطيس بين الحريديم وهذا الحزب. [١٤] وعلى الرغم من عدم إيمان هذه الأحزاب بالديمقراطية، إلا أنها تستفيد منها وتتعايش معها. وبالنسبة للصهيونية، فإن اليمين العلماني والمتدينين يؤمنان بأن كراهية العالم لليهود صفة أبدية، وهذه مقولة أساسية من مقولات الصهيونية، وهي المقولة المركزية فيها. [١٥] ولكن الأيديولوجيا الحريدية تفترق عن الصهيونية في مسألتين هما:

إن مخرجات هذا النظام هي بالذات ما تشكل مدخلاته أيضا، فمجتمع المهاجرين يؤدي إلى التنوع، والتنوع يؤدي إلى التنافس، والتنافس يؤدي إلى الصراع على السلطة والموارد، الأمر الذي يؤدي إلى محاولة تغيير الحصص حسب الثقل النوعي والضغط المنظم، مما يؤدي إلى مزيد من التنافس والصراع والصدوع. ولكن هذا الصراع محكوم بسقف البيئة الأقليمية والعالمية، وبتفصيل أكبر، فإن التنافس يؤدي إلى التقوقع الطائفي والإثني، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى التمسك بالهويات باعتبارها تضع حدودا بين القطاعات المختلفة.

أولا: تجميع اليهود.

ثانيا: إقامة دولة يهودية.

وبالنسبة للمسألة الأولى، فإن التلمود يذكر أن الله أخذ على اليهود ثلاثة عهود هي: عدم التمرد على غير اليهود، وأن لا يهاجروا إلى فلسطين بكثافة قبل مجيء المسيح، وأن لا يصلوا بقوة شديدة من أجل استعجال مجيء المسيح حتى لا يأتي قبل موعده المحدد.[١٦] ومن الواضح أن العهدين الأولين يتعارضان مع الفكر الصهيوني بشكل حاد. ولهذا فإن المتدينين الحريديم عادة، يعلنون معارضتهم للصهيونية، ويعتقدون أن اسرائيل بشكلها الحالي ما هي إلا منفى آخر لليهود. ولكن، ورغم ذلك، فإن اليهودية استطاعت أن تتعايش وأن تلائم نفسها مع الأوضاع كلها. وعلى أرض الواقع، فإن هذه المعتقدات وإن تجلت في عدم استعمال الرموز الصهيونية الواضحة من قبل هؤلاء الحريديم، إلا أن قطاعات أخرى من المتدينين لا تقرهم على ذلك أولا، كما أن هؤلاء الحريديم الذين يعتقدون أن إسرائيل منفى آخر، يشاركون في النظام السياسي لهذا المنفى ويستفيدون من تشريعاته وقوانينه ومنافعه الدنيوية العلمانية.[١٧]

وما بين رؤية إسرائيل كمرحلة من مراحل الخلاص أو مجرد منفى آخر أو دولة قومية طبيعية أو دولة أقامتها قوى الإمبريالية وتؤدي وظيفة، يتفجر النقاش المحتدم والمستمر بين الهويات المتعددة، وهي هويات تتخذ أشكالا اقتصادية واجتماعية أيضا. ومن هنا نشأ الصراع على الموارد والسلطة ومواقع التأثير، ولكن ورغم جدية الخلافات وحقيقيتها، إلا أنه لا يجب الحكم على هذه الخلافات أو الشروخ بحيث تدفع المراقب إلى القول إن إسرائيل قد تواجه انشقاقات أو حروبا أهلية، فكما يقول فون كلاوزيفتش؛ إن وضع المجتمع في حالة الحرب يعكس حقيقة وضعه في حالة السلم.[١٨] وذلك يعني أن التركيب السكاني الإسرائيلي، بما فيه من طبقات مهيمنة وأخرى مهمشة، وما فيه من هويات ثقافية متعددة، وما فيه من شروخ إثنية وعرقية وسياسية يجب فهمه من خلال سياق التاريخ والسياسة، حيث أن "وظيفة" النظام السياسي تحدد اتجاهاته وأهدافه وأعماله ودوره. لا يمكن لهذا النظام أن يتجاوز دوره ومربعه الذي رسم له. ومن جهة أخرى، فإن ما يهدد هذه "الوظيفة" هو هذا البحث المحموم عن "الهوية" التي تريد أن تنأى عن الغرب وقيم الغرب ورأي الغرب. إن الحركات الدينية المسيحانية ومثيلتها الكتلة الدينية الشرقية، وإلى حد ما بعض أجنحة الأحزاب العلمانية اليمنية، تعلن صراحة أنها لا تريد الإنصياع لمبادئ الغرب وأفكاره ونماذجه. وإذا كان صحيحا أن كل جيل هو أكثر يهودية من الجيل الذي يسبقه،[١٩] فإن إسرائيل تتجه أكثر فأكثر إلى أن تعبر عن يهوديتها أكثر من وظيفتها. ويمكن القول إن مساحات الاحتكاك والصدام في الرؤية والتوجهات ستزداد ما بين إسرائيل والقوى الغربية التي تدعمها، فيما يتعلق بمصالح الطرفين ومرجعياتهما الفكرية والعقائدية. ويمكن الذهاب أبعد من ذلك بالقول، إن من الممكن أن تضطر القوى الغربية الداعمة لإسرائيل إلى أن ترفع أو تقلل حجم التغطية السياسية والمالية عن إسرائيل لإعادتها إلى وظيفتها المرسومة. ومن الواضح أن مثل هذا الوضع لن يحدث دون مقدمات أو ضغوط أو مواجهة عربية وإسلامية أو عندما تتحول العقائد اليهودية إلى ممارسات سياسية خطيرة تهدد مصالح الغرب بشكل حقيقي لا يمكن الدفاع عنه أو

تغطيته أو تبريره.

الخشية الحقيقية تتمثل في أن هؤلاء المتدينين الحريديم أو المتدينين القوميين المتطرفين، وبشكل فردي أو جماعي، قد يقومون بأعمال غير محسوبة أو مغامرات، تدفع الجميع إلى أوضاع سياسية وأمنية غير مخططة، وخارجة عن السيطرة (كما حدث عندما اغتيل إسحق رابين العام ١٩٩٥ مثلا، فتوقفت العملية السلمية تماما).

يقول إيمانويل هيمان مستخلصا ومستشرفا مستقبل القوى الدينية في إسرائيل ما نصه "للأسف، يكفي أن تعطي أرضا لهؤلاء المؤمنين وأن يمسكوا السلاح بأيديهم، حتى يتحول البعض منهم إلى أصوليين قوميين ويحاولون فرض أنفسهم بالقوة. وحيث أن موجههم هو الله، فإنهم قادرون على ارتكاب كل التجاوزات، لأن خلافاتنا الإنسانية التافهة لا تساوي شيئا أمام التدبير الإلهي العظيم، والذين يملكون وحدهم مفاتيح أسراره". [٢٠]

هذه الخشية من هذه الأعمال المتوقعة أو المفاجئة، يشير إليها شتيرنهيل أيضا بالقول "واليوم، أكثر من أي وقت مضى، تهدد المستوطنات في المناطق – يقصد المناطق المحتلة – قدرة إسرائيل على تطوير مجتمع حر ومنفتح. ولكن، مثل كل المحاولات السابقة للكولونيالية، فإن ما يريد اليمين الإسرائيلي فرضه على الفلسطينيين، لا بد وأن ينتهي. العامل الوحيد غير المؤكد هو الثمن الأخلاقي والسياسي الذي سيدفعه المجتمع الإسرائيلي للتغلب على المقاومة التي ستبذلها النواة الصلبة للمستوطنين ضد أي حل عادل ومنطقي". [٢١]

المخاوف التي يحذر منها كثير من الباحثين السياسيين وعلماء الاجتماع الإسرائيليين وغير الإسرائيليين، يجب أن لا تعمي العيون عن حقيقة أن القوى الدينية، المتطرفة والمعتدلة، هي عمليا ما ميز المجتمعات اليهودية عبر تاريخها الطويل. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن التركيب الديمغرافي لمثل هذا المجتمع سيؤدي بالضرورة إلى مثل هذه الوظائف، وإن تعددية الهويات ستؤدي إلى مثل هذه الأزمات، وإن فكرا مثل الفكر الصهيوني الذي وصل إلى طريق مسدود – بفشله في خلق هوية مشتركة وصنع السلام وخلق دولة عادية – سيؤدي إلي أن تحل الهويات اليهودية المتعددة، معتدلها ومتطرفها، مكان هذا الفكر.

ويذهب يسرائيل شاحاك بعيدا حول إمكانية قيام الحريديم أو المتدينين القوميين "بعمل لاعقلاني لتحطيم الشيطان"، [٢٢] وذلك من خلال التسلل إلى مواقع متقدمة في الجيش أو التحكم في القوة النووية، [٢٣] ذلك أن إسرائيل – التي لا يجب أن تتنازل عن الأرض التوراتية في أية تسوية باعتبارها الدعامة الأرضية لعرش الرب [٢٤] – إنما هي ليس إلا مملكة إسرائيل كما أرادها الله. [٢٥] هذه المخاوف التي يعبر عنها شاحاك لا تغيب عن النخبة المهيمنة في الجيش الإسرائيلي، وتجدر الإشارة إلى أن الجيش الإسرائيلي اتخذ العديد من وسائل التحكم بخدمة هؤلاء المتدينين المتطرفين في الجيش، من خلال خدمتهم في فرق خاصة، أو توزيع خدمتهم ما بين الدراسة والخدمة ومن خلال التكيف (للمزيد حول ذلك، محمد محمود أبو غدير، الصراع الديني العلماني داخل الجيش الإسرائيلي، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨).

منير شفيق، من جهة أخرى، يقلل إلى حد كبير من صدوع التركيب السكاني الإسرائيلي وكذلك من تناقضات الهويات المتعددة، بقوله: إن كل الخلافات بين الأحزاب الدينية والأحزاب العلمانية، هي خلافات يغلب عليها التنافس على السلطة أو على إعادة بناء معادلة التوازن الداخلي، وإن اتخذ في بعض الأحيان صراعات على بعض القوانين ذات المرجعية الدينية أو العلمانية. وستظل هذه الخلافات في منزلة ثانوية "لأن التناقض الأساس لا ينبع من تناقضات المجتمع الإسرائيلي، وإنما من تناقضاته مع الشعب الفلسطيني والعرب والمسلمين". [٢٦] ويحذر شفيق من قراءة تناقضات المجتمع الإسرائيلي بمعزل عن أمرين اثنين هما: علاقة إسرائيل بالغرب، وعلاقة إسرائيل بالمحيط العربي الإسلامي. فهاتان العلاقتان تعملان عادة في اتجاه تقليل أثر التناقضات الداخلية بحيث أنها لا تؤثر على "وظيفة إسرائيل"، بمعنى آخر، لتكن إسرائيل علمانية جدا أو يهودية جدا، أومزيجا بين الاتجاهين. ولكن، يجب أن لا تفقد وظيفتها أو تقل كفاءتها في تنفيذ ذلك. إن التنازع بين الإتجاهين، دفع إلى وصف اسرائيل بأنها "دولة من فوضى ونصف دولة يهودية". [٢٧]

إن مخرجات هذا النظام هي بالذات ما تشكل مدخلاته أيضا، فمجتمع المهاجرين يؤدي إلى التنوع، والتنوع يؤدي إلى التنافس، والتنافس يؤدي إلى الصراع على السلطة والموارد، الأمر الذي يؤدي إلى محاولة تغيير الحصص حسب الثقل النوعي والضغط المنظم،

إن التركيز على هذا الشرخ الفكري والسياسي (الذي يضخم دائما) ما بين اليهودية والديمقراطية لا يزعج أحدا في إسرئيل، وإذا ما عبر أحدهم عن انزعاجه، فإنه يبدو نوعا من تطهير النفس ليس إلا. مثلا، هذا بوعز عفرون، مؤلف كتاب "المحاسبة القومية" يكتب بنوع من الجدل الذي لا يقدم ولا يؤخر "ماذا تفعل إسرائيل إزاء هذا التناقض الواضح في تركيبتها الإجتماعية والدينية والثقافية وسط هذا الكم من السكان العرب، أخشى أن تقوم الحكومة الإسرائيلية، أية حكومة، سواء الحالية أو القادمة - لا فرق - بعكس ما ينبغي فعله، لا بد من تغيير السياسة الداخلية والخارجية معا، ينبغي التوقف وإجراء محاسبة للنفس".

مما يؤدي إلى مزيد من التنافس والصراع والصدوع. ولكن هذا الصراع محكوم بسقف البيئة الأقليمية والعالمية، وبتفصيل أكبر، فإن التنافس يؤدي إلى التقوقع الطائفي والإثني، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى التمسك بالهويات باعتبارها تضع حدودا بين القطاعات المختلفة. وعلى الرغم مما يبدو أنه مشهد متناقض ومنقسم، إلا أن الأمر هو كما لخصه الدبلوماسي الأميركي مارتن إنديك بالقول "يخطئ من يظن أن هذه الدولة آخذة في الانحلال، فلديها مؤسسات قومة، وإن كان جزء منها يحتاج إلى اجتياز تغييرات معينة، إلا أنها مؤسسات قوية".[٢٨] ما الذي يقصده إنديك "بالتغييرات المعينة"؟ هل قصد تقليم أظافر القوى الدينية المتطرفة؟ هو لم يفصح عن ذلك أبدا.

مخرجات العلاقة
ما بين "التركيب" و"الهوية" و"الوظيفة"

بناء على هذا كله، يمكن إجمال مخرجات العلاقة ما بين "التركيب" و"الهوية" و"الوظيفة" في إسرائيل على النحو الآتي:

١- تتكشف إسرائيل أكثر فأكثر عن كونها تعبيرا عن تاريخ الجماعات اليهودية المتنوعة والمتعددة والمختلفة، حيث أن اليهودية تحتمل المقولة ونقيضها "فكل الكلمات هي من وحي الله أيضا" حسب ما ورد في التلمود. أي أن الإختلاف هو جزء من هذه الثقافة، تتعايش معه، بل وترى فيه مصدر قوة، رغم أن ذلك أدى في الماضي، كما سيؤدي في المستقبل، إلى اللجوء إلى العنف، الذي قد يزداد كلما كانت هناك تسويات إقليمية، فليس من المستغرب إذن أن تظهر جماعة "الخردليم" أو الخردل بالعربية بعد اتفاق أوسلو، من بين جماعات المستوطنين الذين قبلوا أو سكتوا على اتفاق أوسلو، حيث رأت جماعة الخردل أن اتفاق أوسلو أوقف عملية الخلاص المسيحاني.[٢٩] كما أن التشدد هو ظاهرة يهودية معروفة تاريخيا، فدائما كانت هناك جماعة متشددة أو جماعات متشددة. وبعد اضمحلال الفكر اليساري الاشتراكي العمالي الذي سيطر على الحياة والحكم في إسرائيل لمدة ثلاثة عقود، فإن "اليهودية" - على أنواعها - هي التي ملأت الفراغ الناتج.

٢- سيكون من الطبيعي والمتوقع أن تتأثر السياسات الإسرائيلية على المستوي الداخلي والخارجي بهذه اليهودية الطاغية، باعتبارها جوهر النظام وعنوان الإنتماء لجميع الطوائف والقطاعات. أي أنه باختفاء "فرن الصهر" الذي استخدمته الحركة العمالية الصهيونية لمدة طويلة، فإن "فرن الصهر" الجديد هو الإنتماء للدين، بشكل تقليدي أو متطرف أو محافظ أو غير ذلك من مسميات برعت أجهزة الإحصاء الحكومية الإسرائيلية في تفصيلها. لهذا السبب - ربما - يُفسر ظهور وثيقة طبريا التي أجمع عليها رجالات اليمين واليسار معا، فالهوية الجمعية الآن هي هوية دينية أكثر من أية هوية أخرى. وما هذا المطلب الرسمي والشعبي على اعتبار أن إسرائيل دولة يهودية سوى جزء من تأكيد تلك الهوية، وطبعا بعيدا عن فرض شروط تعجيزية للعملية السلمية.

٣- الصراع بين الأحزاب المختلفة والقطاعات الإثنية المتعددة هو

نتيجة طبيعية للتركيب الديمغرافي الإسرائيلي باعتباره مجتمع مهاجرين لم يتكون بعد بصورته النهائية، فهناك ملايين عديدة من اليهود تعيش في أوطانها حيث ولدت، وعمليات الاندماج سريعة إلى درجة أن أبراهام بورغ، النائب ورئيس الكنيست السابق، حذر من تلك العمليات، وقال أن ذلك يشكل أحد المخاطر الوجودية لإسرائيل في المستقبل. (٣٠) كما اعتبر أن الجهود غير كافية للعمل على استيعابهم واستقدامهم وتعزيز الروابط معهم. وليس من المتوقع في المستقبل أن تنتهي مثل هذه الصراعات رغم عمليات العلمنة السريعة ومحاولة إيجاد دين رسمي مقبول من جميع الأطياف الأيديولوجية والدينية الإسرائيلية. فمن الملاحظ أن الإتجاه يميل أكثر إلى "تديين" الحياة السياسية وليس "علمنة" الدين. إن وتيرة الصراعات وطبيعتها واتجاهاتها تحت السيطرة إلى حد كبير، من خلال "شعور العلمانيين والمتدينين على حد سواء بعدم الرضا"، (٣١) وكذلك من خلال إيمان الجميع بأن إسرائيل هي دولتهم التي يجب أن لا يتم التفريط بوحدتها. إن تهويل هذا الصراع حتى من خلال كتابات وأبحاث العديد من الإسرائيليين وغيرهم يجب أن ينظر إليه ليس من خلال مصطلحات الأبحاث والفهم الإسرائيلي وإنما من خلال مصطلحات خاصة تصلح لدراسة الحالة، وهو ما يقترحه منير شفيق في فهم هذه الخلافات، (٣٢) الذي أضاف أن من الخطأ الإعتقاد بأن على المجتمع أن يكون منسجما ومتآلفا ويوزع السلطة والموارد بشكل متساو على كل قطاعاته، أو أن يكون ذلك عائقا أمام وحدته واستمراره. (٣٣)

٤- الهوية الإسرائيلية هي هويات إسرائيلية عديدة على المستوى الثقافي والديني، ولكن الإسرائيلية، كمواطنة واستحقاق، هي أيضا واقع حقيقي له تأثيره على كامل المنطقة. بكلمات أخرى، هناك هويات دينية عديدة، مختلفة ومتعارضة، ولكن المواطنة (ورغم كل ما يقال عن عنصرية قوانينها) تمنح جميع تلك الهويات معنى اجتماعيا وسياسيا. وقد عمل سياسيون وباحثون ومفكرون يهود على نحت وخلق العلاقة (المتخيلة أو الحقيقية) بين اليهودية والإسرائيلية، من خلال القول إن إسرائيل تستطيع أن تكون يهودية (ضد الديمقراطية بسبب تعارضها مع الشريعة) وديمقراطية (بسبب أن إسرائيل تمارس تداول السلطة والإنتخابات الحرة). واستطاع هؤلاء أن يوفروا الغطاء الفكري والتاريخي والديني للمؤمنين بين "الأزمان المختلفة التي يحياها كل من العلمانيين والمتدينين". (٣٤) وقد يخدع المرء نفسه إذا اعتقد أن الإسرائيليين الحاليين يشعرون بالفصام أو يشعرون بوخز الضمير بسبب أن يهوديتهم ضد ديمقراطيتهم، أو أن تكون هذه المسألة مثار نقاش بعيدا عن دوائر البحث الأكاديمي والجدل الرفيع بين المختصين. وعودة إلى وثيقة طبريا، التي صاغها مفكرون وسياسيون وباحثون وكتاب من مختلف الأطياف السياسية، ليتم التعرف إلى أي مدى يمكن أن تصل راحة الضمير الإسرائيلية. اليهودية تفترض أن اليهود "غير طبيعيين" لأن أهدافهم إلهية، واليهودي العادي، فضلا عن المتدين، يصدق ذلك ويعيشه، حتى اليسار العمالي الاشتراكي، لم يخرج عن هذه الرؤية. المشكلة في هذا اليسار أنه كان دائما مترددا وغير حاسم، فمن جهة، يحاول أن يقدم صورة حداثية عن إسرائيل الطبيعية الديمقراطية، ومن جهة أخرى، فإنه لا يستطيع أن يتخلص من إرث طويل لجماعات يهودية لا يمكن لها أن تعيش في وحدة واحدة منسجمة، ولهذا، انهار هذا اليسار أو يكاد. (٣٥)

إن التركيز على هذا الشرخ الفكري والسياسي (الذي يضخم دائما) ما بين اليهودية والديمقراطية لا يزعج أحدا في إسرئيل، وإذا ما عبر أحدهم عن انزعاجه، فإنه يبدو نوعا من تطهير النفس ليس إلا. مثلا، هذا بوعز عفرون، مؤلف كتاب "المحاسبة القومية" يكتب بنوع من الجدل الذي لا يقدم ولا يؤخر "ماذا تفعل إسرائيل إزاء هذا التناقض الواضح في تركيبتها الإجتماعية والدينية والثقافية وسط هذا الكم من السكان العرب، أخشى أن تقوم الحكومة الإسرائيلية، أية حكومة، سواء الحالية أو القادمة – لا فرق – بعكس ما ينبغي فعله، لا بد من تغيير السياسة الداخلية والخارجية معا، ينبغي التوقف وإجراء محاسبة للنفس". (٣٦) ولكن محاسبة النفس هذه عملية تحتاج إلى عقود كثيرة حتى تكتمل، وهناك الكثير من محاسبات النفس اليهودية التي قدمها باحثون ومفكرون دون نتائج سوى تقديم المبرر والغطاء والراحة النفسية لصانعي

القرار والجمهور. ونذكّر بظاهرة المؤرخين الجدد التي انقلبت على نفسها. لقد تعود اليهودي أن لا يرضى، وأن لا يثق، وأن يشكو دائما، وأن يشك دائما. إن ما يبدو نوعا من الفصام الفكري والعقائدي إنما هو جزء من المشهد لا يكتمل إلا به. ولن يتوقع أحد أن تنقسم إسرائيل على نفسها لأنها لم تحدد بعد حدود يهوديتها وحدود ديمقراطيتها. والعالم – على الأقل العالم الليبرالي الديمقراطي الغربي – يقبل هذه الدولة ويدعمها. بل أكثر من ذلك، هناك تيارات عقائدية وسياسية وحكومية غربية تعتقد أن التعامل مع إسرائيل يجب أن يكون مختلفا. فكما قال جيري فالويل – صاحب التأثير الكبير على رؤساء أميركا والجمهور الأميركي: "لا نستطيع أن نحكم على إسرائيل وتصرفاتها بمعايير بشرية وأن نخضعها لأحكام أخلاقية يخضع لها سائر البشر". [٣٧] والمسألة الأكثر أهمية، أن من الصعوبة بمكان، إن لم يكن مستحيلا، أن تمارس دولة كل صنوف الاحتلال والعنصرية، ثم لا تجد مبررات ومسوغات كافية لهذا الأمر، فمن الذرائع الإلهية، إلى ذرائع قدر الرجل الأبيض، إلى ذرائع نشر العلم والديمقراطية.. الخ. وليس من العجب أيضا أن تكون شعارات الحرب العالمية الأولى والثانية وحروب الخليج الثلاثة وكذلك الحرب على ما يسمى بالإرهاب، هي ذات الشعارات المتكررة والمعهودة، الديمقراطية والأمن والسلام. [٣٨] وعليه، فإن إسرائيل لن ترتكز على مفاهيم الديمقراطية لتبرير احتلالها وعنصريتها، وإنما – بالتأكيد – ستستند إلى مقولات الدين اليهودي الذي يغطي كل الأفعال، حتى تلك الأكثر وحشية. [٣٩]

٥- يلخص ديفيد ديوك، عضو الكونغرس الأميركي السابق، العلاقة بين الدين اليهودي كهوية نهائية ودولة إسرائيل كتحقيق لهذه الهوية بالقول "الدين اليهودي، كما وصف في التلمود، أقل اهتماما باليوم الآخر من اهتمامه ببقاء الشعب اليهودي وبقوته، وبما أن عقيدة الشعب المختار هي التي تحرك الدين اليهودي، فإن الديانة اليهودية بأكملها مصابة بمرض مزمن، هو تلاوة حكايات الإضطهادات الماضية وسردها. وبالتالي، فإن اليهودية هي العقيدة الوحيدة في العالم التي ترعى العزل العرقي والنخبوية والتمركز العرقي الذاتي والتعالي على الآخرين. إن إسرائيل الحديثة هي الدولة الغربية الدينية الوحيدة بصراحة، والتي تدعي دون خجل أن غايتها تحقيق تقدم دين واحد وشعب واحد فريد. وتعرف إسرائيل الدينَ اليهودي بأنه دين الدولة، مع الفصل بين الكنيست والدولة في القوانين المدنية والدينية، ومع ذلك، يعرف معظم اليهود في دولة إسرائيل بأنهم علمانيون، رغم أن دولتهم دينية". [٤٠]

هذا الواقع يجعل إسرائيل فريدة حقا في ذلك التداخل والتكامل والمزج بين الدين والسياسة بطريقة لا يمكن فهمها دون النظر إلى تاريخ الجماعات اليهودية من جهة وكذلك إلى طبيعة الدين اليهودي ذاته. [٤١] وحسب ديفيد ديوك أيضا "الإيمان بالإله كان ضروريا للحفاظ على القبيلة والعرق لدى دولة إسرائيل الصهيونية أهم بكثير من العقيدة الدينية.. وأصبحت حماية الهوية القومية للشعب اليهودي السبب الرئيس لوجود اليهود". [٤٢]

٦- إن السياسات الداخلية والخارجية للنظام السياسي الإسرائيلي، والتي تشكل الناتج أو المخرج الأخير لهذه التفاعلات بين الوظيفة والتركيب والهوية تتمثل في تكريس الاحتلال وتعميق الاستيطان، وعدم الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني، والعداء الكامل للمنطقة كلها، والتحالف مع المخططات الإستعمارية وخدمتها من جهة، وكذلك في المزيد من التنافس القطاعي والتقوقع الثقافي واشتداد الصراع على السلطة والمزيد من التشدد القومي والديني من جهة أخرى. [٤٣]

الهوامش

١ إسرائيل شاحاك ونورتن بيزفينسكي، الأصولية اليهودية في إسرائيل، منشورات دار بلوتو، ومكتبة القادسية للنشر والتوزيع، ترجمة: إسماعيل الفقعاوي، خانيونس، ٢٠٠٣، ص ٢٠ - ٣٠.

٢ يشار هنا إلى الخلافات الشديدة بين اليهودية الحاخامية والحركات الصوفية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وكذلك بين الحريديم والحزب القومي المتدين من جهة واليهود الشرقيين المتدينين من جهة أخرى على أيامنا، وهي حروب ومواجهات تضمنت القتل والتهديد والضرب والاعتقال وحتى استعمال السحر، كما حصل في المواجهات بين الحاخام شاخ (الزعيم الروحي ليهدوت هتوراة) والحاخام عوفاديا يوسيف (الزعيم الروحي لحزب شاس)، للمزيد، يائير شيلغ، المتدينون الجدد، منشورات مركز مدار، رام الله، ١٩٩٩، ص ٢١٠، وكذلك شاحاك، ص ٧٦.

٣ إيمانويل هيمان، الأصولية اليهودية، ترجمة سعد الطويل، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٢٠٧ - ٢١٠.

٤ كتب الحاخام إسحق جينسبرغ ما يلي بالحرف "إذا كانت كل خلية في جسم اليهودي تشتمل على جوهر إلهي، فهي بذلك جزء من الله، إذن كل خيط DNA هو جزء من الله، ولهذا السبب فإن شيئا ما يكون خاصا بشأن DNA الذي يحمله اليهودي"، هآرتس، بتاريخ ١٩٩٦/٤/٢٦، وكذلك، مجلة الأسبوع اليهودي بذات التاريخ، وكذلك، شاحاك، مصدر سابق، ص ٦٤. وحول الفكر الكابالي فهو فكر حلولي "صوفي" يعتقد بأن الذات الالهية تطورت أو فاضت "رغما عنها" وتجلت في عشرة مستويات، يشكل اليهود في هذه التجليات حجر الزاوية، حيث أن اكتمال جماعة اليهود، شعبا وأرضا وحكمة، هو تحقيق للألوهية من جديد. وعلى الرغم من الاختلافات بين تيارات هذا الفكر، إلا أن من الملاحظ أن هذا الفكر ألغى وحدانية الله بأن جعلها متعددة ومتجلية في جماعة اليهود، كما ألغى القدرة الالهية ذاتها. للمزيد، المسيري، الموسوعة، وكذلك عمر مصالحة التلمود، دار الجليل للنشر، عمان، ٢٠٠٦، ص٣٥- ٤٠.

٥ لا بد هنا من الانتباه إلى عدم الوقوع في شرك المصطلحات الإسرائيلية، فاليمين واليسار في إسرائيل، والحمائم والصقور، والصراعات الداخلية.. الخ.. الخ.. هي مصطلحات لا تعني ذات المعنى كما تنص عليها كلاسيكيات الفكر الليبرالي الغربي، إذ يجب أن تفهم هذه المصطلحات في سياقها التاريخي والسياسي، ضمن التحديات الخارجية من جهة، والتغطية الخارجة لإسرائيل من جهة ثانية. للمزيد، د. السيد ولد أباه، مستقبل إسرائيل، دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠٠١، ص ٢١٠ وما بعدها، وكذلك د. عادل سمارة، الاقتصاد السياسي للصهيونية، المعجزة والوظيفية، مركز الشرق و دار العامل، رام الله، ٢٠٠٨، ص ٦٥ - ٧١، وكذلك أحمد خليفة، دليل إسرائيل العام لسنة ٢٠٠٤، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١١٥ وما بعدها.

٦ (٦) زئيف شتيرنهيل، الأساطير المؤسسة لإسرائيل- القومية الاشتراكية وقيام الدولة اليهودية، ترجمة عزت الغزاوي، منشورات مركز مدار، رام الله، ٢٠٠١، ص ٣٤٥، وكذلك، شاحاك، ص ٤٠ وما بعدها؛ حيث كان شمعون بيريس، وزير الدفاع في أوائل السبعينيات، هو أول من دعم حركة غوش إيمونيم بشكل يكاد يكون مطلقا، أما شولاميت ألوني، وزيرة التعليم في منتصف التسعينيات، فقد منحت اليشيفوت مساعدات هائلة، أما إسحق رابين، رئيس الوزراء القتيل، فقد دأب على مراعاة - إن لم يكن محاباة - الزعماء الدينيين للأحزاب المسيحانية واعتذاراته الدائمة لهم، ورغم ذلك لم ينج من الاغتيال.

٧ (٧) لا يعترف المتدينون - على أنواعهم - بالديمقراطية الغربية، باعتبار أن الشريعة اليهودية هي مصدر التشريع، أما الصهيونية، فهم يعتبرونها جزءا من منظور غربي علماني تهدف إلى إقامة مجتمع " طبيعي"، فيما الدين اليهودي يفرض على اليهود أن يكونوا " شعبا غير طبيعي" باعتبار أنهم مختارون من الله لمهمة مقدسة، مناحيم فريدمان، life tradition and book tradition in the development of ultra-orthpdox Judaism، Albany: sunny press، ١٩٨٧، ص ٧٥ وما بعدها.

٨ (٨) شاحاك، مصدر سابق، ص ٣٣.

٩ (٩) الحاخام من لوبوفيتش هو الحاخام مناحيم شنيرسون توفي العام ١٩٩٢، وهو حريدي متطرف وما زال له تأثير كبير على أتباعه، وهو متشدد من الناحية السياسية.

١٠ نشر الحاخام عوفاديا يوسيف مقاله هذا في جريدة الحزب الرسمية يتيد نئمان (العروة الوثقى) في ١٩٨٩/٩/٦، وقد اقتبسه شاحاك في كتابه "الأصولية اليهودية"، ص ٣٣، يلاحظ أن يوسيف هذا لم يتحدث مثلا عن حقوق الفلسطينيين أو عن حساسية أخلاقية، أو اهتمام بالقانون الدولي.. كل ما رآه هو أن إسرائيل ضعيفة فقط، فلو كانت قوية لهدمت الكنائس - باعتبار أنها رموز كفر ووثنية - ولصادرت كل الأرض.

١١ شاحاك، المصدر السابق، ص ٢٩.

١٢ المصدر السابق، وعن خطاب القوة والضعف، أنظر، د. قدري حفني، الضعف والاستقواء في الخطاب الصهيوني، مجلة وجهات نظر، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٥٠ - ٦٢.

١٣ نواف الزرو، القدس، هوية وسيادة ومستقبل، دار المجدلاوي للنشر، عمان، ٢٠٠٩، ص٨٧.

١٤ شيلغ، مصدر سابق، ص ٢٦٨.

١٥ عندما نراجع ما كتبه موسى هيس وبنسكر وهيرتسل (وهم أباء الصهيونية الأوائل) سنجد أن مسألة الكراهية الأبدية هذه هي محور كتاباتهم على الاطلاق. ومن اللافت للنظر أن إجماع هؤلاء وغيرهم على وجود هذه الكراهية أو المتخيلة هو ما يؤسس لميلاد مجتمع جديد لم يستطع حتى الآن - ولا يبدو أنه سيستطيع في المستقبل - أن يتخلص من هذه المشاعر. وقد كتب كثيرون حول حقيقة هذه الكراهية، وهل هي حقيقية أم متخيلة، ومن الكتب الحديثة حول هذا الأمر، كتاب عضو الكونغرس الأميركي السابق، ديفيد ديوك، الذي تتبع جذور هذه الكراهية، ووجد أنها مبررة، للمزيد، ديفيد ديوك، الصحوة، ترجمة، د. إبراهيم يحيى الشهابي، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ٢٠٠٥، ص ٥٢ وما بعدها.

١٦ شاحاك، مصدر سابق، ص ٣٥.

١٧ يكتب د. إيلان غور - زئيف عن أثر المنفى في الرؤية اليهودية وديمومتها "أن غاية ورسالة التربية على المنفى، هي في أبسط معانيها ضمان أن يكون أبناؤنا مستعدين تماما للعودة إلى حياة المنفى"، ويبرر ذلك بالقول "لا يوجد مكان آمن هنا لحياة تجمع يهودي مستقل وذي سيادة، غير قابل للتحول إلى اسبارطة أشرار"، للمزيد، د. إيلان غور - زئيف، جدلية الوطن والمنفى، التربية الإسرائيلية والتربية على المنفوية في عهد ما بعد الحداثة، إعداد سلمان ناطور، منشورات مركز مدار، رام الله، ٢٠٠٦، ص ٣٥.

١٨ د. السيد ولد أباه، مصدر سابق، ص ٢٥١ - ص ٢٥٢.

١٩ ديفيد ديوك، مصدر سابق، ص ٤٦١.

٢٠ هيمان، مصدر سابق، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

٢١ شتيرنهيل، مصدر سابق، ص ٣٧٠.

٢٢ شاحاك، مصدر سابق، ص ٩٠.

٢٣ المصدر السابق، ص ٩٣ - ٩٧.

٢٤ المصدر السابق، ص ٩٤.

٢٥ المصدر السابق، ص ١١٤.

٢٦ د. السيد ولد أباه، مصدر سابق، ص ٢٣٩.

٢٧ شاحاك، مصدر سابق، ص ٥٦.

٢٨ مارتن إنديك، في تصريحات لصحيفة هآرتس بتاريخ ٢٦ / ٩ / ١٩٩٧، وقد وردت في: محمود عباس "أبو مازن"، الاستقطاب الديني والعرقي في إسرائيل، المجلس الفلسطيني للعلاقات الخارجية، غزة، ١٩٩٨، ص ٢٣.

٢٩ شاحاك، مصدر سابق، ص ١١٣.

٣٠ أنطوان شلحت، إعداد وترجمة، ذاكرة ودولة وهوية، منشورات مركز مدار، رام الله- ٢٠٠٤، ص ٢٤٠.

٣١ آلان داوتي، الدولة اليهودية، قرن لاحق، ترجمة السيد محمد ومنى فرغلي، وزارة الإعلام، كتب مترجمة عدد ٨٤٠، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٨٥.

٣٢ د. السيد ولد أباه، مصدر سابق، ص ٢٣٦.

٣٣ المصدر السابق، ص ٢٣٩.

٣٤ شاحاك، مصدر سابق، ص ٤٩.

٣٥ من الصعوبة أن نصف حزب العمل بأنه يسار، حتى من وجهة نظر غربية فضلا عن الفلسطينية، ولكنه يسار بالقياس إلى الليكود، د. عادل سمارة، مصدر سابق، ص ٦٥.

٣٦ محمد محمود المصري، الدولة العبرية والبحث عن هوية، البراق للدراسات والأبحاث، غزة، ٢٠٠٣، ص١٤١.

٣٧ د. فؤاد شعبان، من أجل صهيون، التراث اليهودي المسيحي في الثقافة الأميركية، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٣، ص ٢٦٨.

٣٨ ديفيد ديوك، مصدر سابق، ص ١٦٥.

٣٩ يكشف يسرائيل شاحاك مثلا النفاق الشديد الذي تميز به السياسيون اليهود وحتى رئيس الوزراء اسحق رابين في تعاملهم مع مذبحة الحرم الابراهيمي التي نفذها المجرم غولدشتاين، فقد تحدث هؤلاء بلغة فيها مواربة، وبلغ بهم الأمر إلى الاعتذار إلى القيادات الدينية بعد ذلك، للمزيد، شاحاك، مصدر سابق، ص ١٢٨– ١٣١.

٤٠ ديفيد ديوك، مصدر سابق، ص ٩٥.

٤١ على عكس ما يحدث في الدول الغربية الليبرالية والديمقراطية، فإنه لا يمكن النظر إلى التيارات والقوى والأحزاب الدينية الإسرائيلية كجماعات مصالح دينية، وإن كانت تستخدم أساليبها (التأثير على نوعية تصويت الجمهور في الانتخابات، تشكيل الرأي العام، فتح قنوات اتصال مع المسؤولين، استخدام وسائل الاعلام، إيصال بعض أعضائها إلى مناصب عامة، رفع شكاوى إلى المحاكم، استخدام أسلوب الاحتجاج والمظاهرات). فهذه القوى والتيارات لا تعمل من أجل قيم تقليدية فقط أو من أجل أهداف دينية أيضا، بل تهدف إلى تشكيل المجتمع والدولة حسب النموذج الديني الذي تسعى إلى ترسيخه. للمزيد، مايكل كوربت وجوليا ميتشيل كوربت، الدين والسياسة في الولايات المتحدة، ترجمة زين نجاتي ونشأت جعفر، دار الشروق الدولية، ٢٠٠٢.، ص ٢٠٢ وما بعدها.

٤٢ ديفيد ديوك، مصدر سابق، ص ٧٢ – ٧٣.

٤٣ محمد محمود المصري، مصدر سابق، ص ١٧١. وحول ذات الموضوع يكتب د. محمد حافظ يعقوب "يبدو المثال الإسرائيلي ممزقا بين سلسلة من الثنائيات التي هي بحد ذاتها مصدر لا ينضب من التمزقات النفسية والخلقية التي لا حل لها على الأرجح من داخل الإستراتيجيا الصهيونية الإسرائيلية نفسها، فالرؤية الإسرائيلية تفترض في الدولة الصهيونية القيام بوظيفة مركزية هي وظيفة الضامن الرئيس لأمن الجاليات اليهودية في العالم، والملاذ الأمين ليهود العالم قاطبة. وهي وظيفة يترتب على تأديتها مجموعة من المفارقات التي تتكشف عن فحواها بكل كثافة ممكنة في لحظات التوتر الكبرى. فلقد اختارت إسرائيل منطق الدولة الأبوية الضامنة للاندماج الاجتماعي المعين الذي يشكل قوتها ونسغ الحياة فيها فضلا عن مبرر وجودها كدولة، وهم المهاجرون اليهود. ولما كانت الحاجة الملحة إلى القوة تتطلب توفير إجماع قومي صلد في مواجهة الأعداء الكثيرين في العقل الصهيوني (وهم ليسوا العرب فقط، بل جميع اللاساميين)، فإن الخيار التعددي الليبرالي هو الخيار الوحيد الممكن القادر على حض اليهود على الاستجابة لنداء الهجرة، غير أن هذا الخيار بالذات هو كذلك مصدر تناقض لا حل له. فالتعددية الحزبية تدفع في ظروف البنية السياسية الإسرائيلية باتجاه التمزق والانشطار، أما الليبرالية فتدفع باتجاه التحلل الفردي والانشطار، في حين أن وضعية الدولة كغيتو كبير متورط في صراع دام مع الفلسطينيين والجوار كله، يكذب بدوره كل يقين بالأمن المحروس بالقوة، ويضعف من قدرة الدولة اليهودية على إغواء اليهود وجذبهم للتوطن فيه". للمزيد، د. محمد حافظ يعقوب، بيان ضد الأبارتهايد، اللاجئون الفلسطينيون والسلام، دار كنعان للدراسات والنشر، ٢٠٠٠، ص ١٣٨ – ١٣٩.